

نتائج تتضمن قناعات بأن العملية السينمائية، بأهميتها الخاصة، تحقق أهدافها التقدمية فقط من خلال التحامها أكثر فأكثر بالحركة التقدمية الأشمل في بلدانها. وحتى لو ضاق هامش التعبير الحر لهذه الحركة فإنه يبقى من المطلوب تشديد النضال للاستفادة من هذا الهامش ولتوسيعه باستمرار.

المشاركة الفلسطينية في المهرجان

الغياب المزمّن للفيلم الروائي الفلسطيني كان في مهرجان دمشق، أيضاً، مثار تساؤل عن أسباب القصور في إنتاج فيلم كهذا. وقد أوضحت المناقشات التي دارت حول هذه المسألة أن هناك ثلاثة أفلام أنتجت حتى الآن من قِبَل جهات فلسطينية، أو بمشاركة من هذه الجهات، إلا أن الأفلام الثلاثة لا ترتقي إلى المستوى الذي يمكن أن يعتد به. وهناك أيضاً التجربة التي يخوضها المخرج قاسم حول لتحقيق فيلم روائي عن رواية غسان كنفاني: «عائد إلى حيفا» من إنتاج الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهو الفيلم الذي لم يَزِ النور بعد. وبالإضافة إلى الإيضاحات والتفسيرات التي قدمت للندوات، أعطيت الفرصة لمصطفى أبو علي ولكاتب هذه السطور كي يشرحوا في جريدة المهرجان الأسباب الذاتية والموضوعية التي جعلت هذا القصور يستمر طويلاً.

وعلى الرغم من غياب الفيلم الفلسطيني الروائي، فإن الحضور الفلسطيني في المهرجان لم يكن ضئيلاً، أو قليل الأهمية. وقد شارك فيه وفد عن منظمة التحرير الفلسطينية، وعدد آخر ممن تلقوا دعوات خاصة من اللجنة التنظيمية. وفي مسابقة الأفلام التسجيلية اشتركت ثلاثة أفلام فلسطينية هي: «وطن الأسلاك الشائكة» لقيس الزبيدي من إنتاج «دائرة الاعلام والثقافة»؛ و«أنشودة الأحرار» لجان شمعون؛ و«أطفال ولكن...» لخديجة أبو علي، وكلاهما من إنتاج «مؤسسة السينما الفلسطينية» في الاعلام الفلسطيني الموحد.

ومن أجل مناقشة الأفلام الفلسطينية، انعقدت ندوة خاصة، تشعب النقاش خلالها فتناول هموم السينما والسينمائيين الفلسطينيين. وقد تركّز الاهتمام خلال هذه الندوة، كما كان خارجها، على فيلمي الزبيدي وشمعون، اللذين فازا في النهاية بأكبر جائزتين من جوائز المهرجان، هما: الجائزة الأولى، التي مُنحت لفيلم وطن الأسلاك الشائكة؛ وجائزة لجنة التحكيم الخاصة، التي منحت لفيلم أنشودة الأحرار.

والحقيقة أن الفيلمين كليهما استحقا الجائزتين الرفيعتين نتيجة تقدير لجنة التحكيم لقيمتها الفنية، وليس لأن مهرجاناً كهذا يتجه في العادة لتكريم الإنتاج الفلسطيني وإبرازه.

وأجمعت الآراء على أن فيلم جان شمعون يقدم وثيقة تنبض بالحياة، وتعكس الوضع العالمي للثورة الفلسطينية وموقعها الريادي بين ثورات التحرر الوطني في القارات الثلاث، وما يتسم به هذا الموقع من فعالية، كما تعكس الترابط الوثيق بين الثورة الفلسطينية وأمجد ما قدمه كفاح الشعوب الطامحة للتحرر والاستقلال.

وفيلم قيس الزبيدي حظي، هو الآخر، بإجماع على تقدير مستواه الفني وبنائه الدرامي المحكم، مما يجعله إضافة هامة ومتميزة في إنتاج هذا المخرج المتمكن في ميدانه والذي ظفرت أفلامه العديدة بكثير من التقدير ومن الجوائز، من قِبَل مهرجانات دولية تقدميه كثيرة.

وإذا كان فيلم جان شمعون استقبل بالاشادة دون ملاحظات سلبية تمس مضمونه، فإن فيلم قيس الزبيدي، الذي حظي، كما قلنا، بتقدير لمستواه الفني الرفيع، أثار عدداً من التساؤلات المتصلة بمضمونه.

ولإيضاح دوافع هذه التساؤلات، يجدر أن نذكر شيئاً يتصل بظروف إعداد مادة الفيلم. ذلك أن هذه المادة صُوِّرت بكاملها داخل الضفة الغربية المحتلة. وقد قام بالتصوير لأسباب مفهومة، مصورون ألمان غربيون استعان بهم المخرج. وبالرغم من أن المصورين الألمان تقدميون ومناصرون لحقوق الشعب الفلسطيني فإن زوايا نظرهم وجدول اهتماماتهم لا تتطابق بالضرورة مع مثيلاتها الفلسطينية. وهذا أدى